

الكشاف

" أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين ا لك الآيات لعلكم تتفكرون " الهمزة في " أيود أحدكم " للإنكار . وقرئ : له جنات وذرية ضعاف . والإعصار : الريح التي تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود . وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه ا . فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلك بالصاعقة . وعن عمر B أنه سأل عنها الصحابة فقالوا : ا أعلم فغضب وقال : قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس B : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين . قال : قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك . قال : ضربت مثلاً لعمل . قال : لأي عمل ؟ قال : لرجل غني يعمل الحسنات . ثم بعث ا له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها . وعن الحسن B : هذا مثل قل و ا من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانهُ أفقر ما كان إلى جنته وإن أحدكم و ا أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا . فإن قلت : كيف قال " جنة من نخيل وأعناب " ثم قال : " له فيها من كل الثمرات " قلت : النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصبهما بالذكر وجعل الجنة منهما - وإن كانت محتوية على سائر الأشجار - تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات . ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله : " وكان له ثمر " الكهف : 34 ، بعد قوله : " جنتين من أعناب وحفناهما بنخل " الكهف : 32 ، فإن قلت : علام عطف قوله : " وأصابه الكبر " ؟ قلت : الواو للحال لا للعطف . ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر . وقيل : يقال : وددت أن يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل : أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر .

" يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيهِ إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن ا غني حميد " من طيبات ما كسبتم " من جيا د مكسوباكم " ومما أخرجنا لكم " من الحب والثمر والمعادن وغيرها . فإن قلت : فهلا قيل : وما أخرجنا لكم عطفا على " ما كسبتم " حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض ؟ قلت معناه : ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات " ولا تيمموا الخبيث " ولا تقصدوا المال الرديء " منه تنفقون " تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال . وقرأ عبد ا : ولا تأمموا وقرأ ابن عباس : ولا تيمموا بضم التاء .

ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده " ولستم بأخذه " وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم " إلا أن تغمضوا فيه " إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه إذا غمض بصره . ويقال للبائع : أغمض أي لا تستقص كأنتك لا تبصر . وقال الطرماح : .

لم يفتنا بالوتر قوم ... وللصيم رجال يرضون بالإغماض .
وقرأ الزهري : تغمضوا . وأغمض وغمض بمعنى . وعنه : تغمضوا بضم الميم وكسرهما . من غمض يغمض ويغمض . وقرأ قتادة : تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه . وقيل : إلا أن توجدوا مغمضين . وعن الحسن B : لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه . وعن ابن عباس B هما : كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه .

" الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وإِياكم يعدكم مغفرة منه وفضلا وإِياكم يعدكم " أي يعدكم في الإنفاق " الفقر " ويقول لكم أن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا . وقرئ : الفقر بالضم . والفقر - بفتحيتين - والوعد يستعمل في الخير والشر . قال إِبْنُ تَعَالَى : " النار وعدّها إِبْنُ الدِّينِ كفروا " الحج : 72 ، " ويأمركم بالفحشاء " ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الأمر للمأمر . والفاحش عند العرب : البخيل " وإِياكم يعدكم " في الإنفاق " مغفرة " لذنوبكم وكفارة لها " وفضلا " وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو ثوابا عليه في الآخرة .

" يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب "